(الإعجاز الصوتي في براعة التصوير القرآني

(توظيف الإبدال في خدمة المعنى)

(Audio Ijaz in versatility of Quranic photography

(Employing substitution in the service of meaning)

الدكتور عبدالحليم محمد عبدالله [1]

أستاذ مساعد في اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية جامعة ماردين آرتقلو/ تركيا

البريد الإلكتروني : Abdulhalimabdullah@artuklu.edu.tr

تاريخ الاستلام: 2020/01/26 تاريخ القبول: 2020/05/01 تاريخ النشر: 2020/06/01

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إثبات العلاقة بين الإيحاء الصوتي والتصوير الفني في كلمات القرآن، وأنّ القرآن الكريم استخدم الطاقة الإيحائية في الحروف العربية استخداما معجزا، وعلى سبيل المثال إذا رجعنا إلى كتب المعاجم والتفسير لاستبيان معنى (الصراط) وجدنا كتب اللغة والتفسير تتوافق على أن الأصل فيها (السراط) وأن الإبدال بين حرفي السين والصاد جائز في لغة العرب، وأن السراط والصراط هما الطريق الواضح؛ لكننا إذا أدمنا النظر في القرآن الكريم سنجد أن الإبدال في هذه الكلمة في هذه الآية وغيرها في القرآن الكريم ليس من قبيل المجانسة الصوتية فحسب، بل يتعدّى ذلك إلى لون من ألوان الإعجاز التصويري، فالله عزّ وجلّ لا يدعو إلى طريقٍ دنيوي حقيقي محسوس؛ بل يدعو إلى طريقٍ يقرّب منه ويهدي إليه؛ فاستحق هذا الثقل المعنوي تثقيلا في اللفظ، وأُبدِل الحرف المرقق المستفل بآخر مفخّمٍ مستعلٍ؛ تمثيلا بالصورة الصوتية للمعنى.

وقد توصل البحث إلى أن الدلالة الصوتية كانت ذات دلالة تعبيرية تصويرية، وأن الإبدال الصرفي غير القياسي – وهو مظهر من مظاهر الدلالة الصوتية - كان ذا قيمة تعبيرية تصويرية في تجسيد المعنى

كلمات مفتاحية: الإعجاز الصوتي، الإبدال غير القياسي ، التصوير القرآني ، الإيحاء بالمعنى

Abstract:

This research aims prove the relation between the letters of Arabic language phonetic suggestive, the Qur'an has used this suggestive energy in Arabic latters miraculously, for example If we return to the dictionaries and interpretation books for the explanation of the meaning of (path) we will find that the books of language and interpretation agree that the original In that path is (Alsarat) and that the substitution between the letters Seen and Sad is permissible in the language of the Arabs, and that Alserat and Alsarat is

the clear way; But if we look at the Holy Qur'an, we will find that the substitution in this word in this verse and others in the Holy Qur'an is not just an acoustic homogenization But it goes beyond that to be a kind of graphic miracle.

God Almighty does not call to Earthly real significant path; He calls to a path which approaches and guides to him; deserved this moral weight heavy in pronunciation, and replaced the spaced laminated letter with another superior plush, Representing the phonetic image of the meaning this paper will support the argument for some of the pillars of the theory of audio miracle in the Qur'an, Through the investigation of the phenomenon of substitution between the letters silence or vowel in the Holy Qur'an and linking this voice replacement to the moral significance of the verses

The research concluded that the phonetic sign of letters has expressive indicative indication, and that non-normative morphological substitution - a type of sound - has an expressive value in embodiment of meaning

Keywords: Audio Ijaz - Versatility of Quranic photography- Non-Standard substitution - Service of meaning.

المؤلف المرسل:د.عبدالحليم محمد عبدالله، الإيميل: Dr.halim40@gmail.com

1. مقدمة:

إن القارئ في آيات الذكر الحكيم يجد فيها ظواهر لغوية تستحق التوقف عندها لمعرفة أسراراها، ومن هذه القضايا الإبدال الصرفي، فكان السؤال الرئيس في هذا البحث: هل لهذه الإبدالات علاقة بالمعنى؟ أم أنها مقتضى من مقتضيات التخفيف اللفظي فحسب؟ وفيما يأتي محاكمة لغوية للأمثلة للوقوف على حقيقة الإبدال وتأثيره في المعنى.

2. أقوال العلماء محاكاة الصوت للمعنى

2.1. أقوال العلماء المسلمين

القول بمحاكاة الصوت للمعنى ليس جديدا في الفكر اللغوي؛ إذ قال ببعض أصولها العلامة ابن جنّي، فقد ومن قبله الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي نبّه إلى أن ترابطا بين الصوت والمعنى، ونقل ابن جني ذلك في باب عقده في الخصائص أسماه إمساس الألفاظ أشباه المعاني، يقول فيه: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف, وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه, وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته، قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب

استطالة ومدًّا فقالوا: صَرَّ, وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا: صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة, نحو: النقزان والغلبان والغثيان, فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال" (ابن جني، ب.ت.، صفحة (2) 154)

أما ابن جني فقد ذكر رأيه في باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، إذ قال: "هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به. وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلًا مسهوًّا عنه, وهو على أضرب: منها اقتراب الأصلين الثلاثيين؛ كضياط وضَيْطار, ولُوقةٍ وأَلوقةٍ, ورخْو ورِخْوَدٍّ, ويَنْجُوج وأَلَنْجُوج. وقد مضى ذكر ذلك. ومنها اقتراب الأصلين ثلاثيًّا أحدهما ورباعيًّا صاحبه, أو رباعيًّا أحدهما وخماسيًّا صاحبه؛ كدمث ودمثر, وسبط وسبطر, ولؤلؤ ولُؤَل, والضبغطى والضبغطري. ومنه قوله:

قد دَرْدَبَتْ والشيخ دَرْدَبِيس

من ذلك قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم 83) أي: تزعجهم وتقلقهم, فهذا في معنى تهزّهم هزًّا, والهمزة أخت الهاء, فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء, وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة, ونحو ذلك. ومنه العَسْف والأَسَف, والعين أخت الهمزة, كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها, والهمزة أقوى من العين, كما أن أسف النفس أغلظ من "التردد" بالعسف. فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين" (ابن جني، ب.ت.، صفحة (2) 148)

وقد حاول ابن جني أن يبرز تقبله لهذا المذهب واطمئنانه إليه بما ذهب إليه متقدموه من العلماء اللغويين الأفذاذ كالخليل وسيبويه فنقل عنهم الأقوال التي تؤيد ما ذهب إليه وتبين صحته وفي ذلك يقول: اعلم أن هذا موضع شريف لطيف...إلخ (بو زيد، 2009، صفحة 138)

"ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلًا على تكرير الفعل, فقالوا: كسَّر وقطَّع وفتَّح وغلَّق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل, والعين أقوى من الفاء واللام, وذلك لأنها واسطة لهما ومنكوفة بهما... فلمَّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلًا على قوة المعنى المحدث به, وهو تكرير

الفعل, كما جعلوا تقطيعه في نحو: صرصر وحقحق, دليلًا على تقطيعه" (ابن جني، ب.ت.، صفحة (2) 157)

2.2. قول المحدثين في محاكاة الصوت للمعنى

قال بعض المحدثين بمحاكاة الصوت للمعنى في نظرية أطلقوا عليها اسم (نظرية المحاكاة الصوتية) أو (أونوماتوبيا) " وخلاصتها أن الإنسان سمى الأشياء، بأسماء مقتبسة من أصواتها، أو بعبارة أخرى أن تكون أصوات الكلمة، نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء، وتسمى مثل هذه الكلمات عند علماء الغرب: Onomatopoeia." (عبد التواب، 1997، صفحة 112)

وذهب د. رمضان عبدالتواب في موضع آخر لتأكيد هذه النظرية فقال: "ومما قد يؤيد هذه النظرية، ما قد نجده في بعض الأحيان، من اشتراك بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات، فإن الكلمة التي تدل على الهمس، هي في العربية كما نعرف: "همس"، وفي الإنجليزية: whisper وفي الألمانية Flustern وفي العبرية Safsaf صفصف، وفي الحبشية: Fasaya فاصي، وفي التركية Susmak، فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعها في تلك الكلمة، هو: صوت الصفير السين أو الصاد، وهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة." (عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، 1995، صفحة 17) فهدوء حرف الصفير (السين أو الصاد) يوحي بطبيعة الهمس في واقع الحال.

وقال د. محمد مندور بالانسجام الصوتي، أو انسجام المحاكاة، لما في الأصوات من قيمة إيحائية. فقال: "والبحث الحديث قد أصبح اليوم يرى للألفاظ قيمة ذاتية إيجابية من حيث ما يوحي به جرس حروفها من إحساس يعزز المعنى المعبر عنه... وأضرب لذلك مثلا ما ذكره الزمخشري في الكشاف عندما قرر أن كل أفعال اللغة العربية التي تبتدئ بنون وفاء تفيد المضي والنفاذ، كقولنا نفد ونفذ ونفر ونفق ونفض ... إلخ، ومع ذلك فإنهم لم يستخدموا تلك الحقائق في نقد الأدب ليوضحوا على أساس لغوي - ما يهتدي إليه الشعراء والكتاب بغرائزهم الصادقة، عندما يؤثرون لفظا على لفظ، وفقا للمعنى الذي يريدون العبارة عنه. لقد كتب الأوربيون كتبا في إيضاح أسرار الشعراء والكتاب اللغوية فتراهم يحصون أنواع الأحرف الصائتة Voyelles والأحرف الصامتة Consonnes في البيت الجيد من الشعر، ويقيمون بينها نسبا يستخرجون بفضلها ما يسمونه "بالانسجام الصوتي" harmonoie

vocaliques الذي ينتج عن توزيع الأحرف الصامتة، ثم "انسجام المحاكاة" harmonie imitaitve الذي ندركه من مطابقة الإحساس الذي يخلفه في النفس وقع الأحرف الصامتة المختلفة للإحساس الذي لدينا عن الشيء الذي نتحدث عنه، على نحو ما توحي السينات المتتابعة مثلا بصفير الريح." (مندور، 2004، صفحة 263)

واستنادا إلى ما تقدّم فإننا نرى أن في ظواهر الإبدال قيمة تعبيرية في القرآن الكريم.

فما تعريف الإبدال؟ قال الشريف الجرجاني في تعريفاته: " هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل" (الشريف الجرجاني، 1983، صفحة 7)

3. الإيحاء التصويري بالإبدال الصوتي ونماذجه من الذكر الحكيم

قال الثعالبي في باب الإبدال: "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض في قولهم: مَدَحَ وَمَدَهَ وَجَدَّ وَجَذَّ وخَرَمَ وخَزَمَ وصَقَعَ الدِّيكُ وسَقَعَ وفاضَ أي ماتَ وفاظَ وفَلَقَ الله الصُّبحَ وفَرَقَهُ. وفي قولهم: صِراط وسِراط ومُسيطِر ومصيطر ومكّة وبكّة" (الثعالبي, أبو منصور، 2002، صفحة 263)

3.1. الإبدال بين السين والصاد

السين والصاد والزاي من حرف الصفير حروف الصفير، "وسميت بذلك للصفير الذي يسمع عند النطق بهن " (النيرباني، 2006، صفحة 77) وقد علل بعض اللغويين الإبدال بين هذين الحرفين على أنه نوع من تأثير صفات الحروف بصفات الأخرى، فقال: " مَنْ قَرَأَ بالسين فهو الأصل؛ لأن العرب تقول: سرطتُ اللقمة سرطا، و: زَرَدتهَا - زَردًا، أي: بلعتُها بلعًا. وَمَنْ قَرَأَ بالصاد فلأن مخرج السين والصاد من طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا، والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين، أو قاف، أو طاء، أو خاء. فالطاء مثل: (بَسطة" و(بَصطة) ، ومثل: (مُسَيطر" و"مُصَيْطر) ، والخاء مثل: سلخ الجلد، وصلخه. والغين مثل: مصدغة، ومسدغة. والقاف مثل: الصقر، والسقر، و: صقع الديك، وسقع... والسين حرف مهموس، والصاد حرف مجهور، وذلك اختير مع هذه الحروف" (الهروي، 1991، صفحة (1) 111) فإبدال السين صادا لتأثير تفخيم الطاء والخاء والقاف والغين بترقيق السين واستفالتها.

غير أن بعض العلماء ربط هذه الإبدالات بقيمة تعبيرية للحروف وهذا هو الذي نذهب إليه في بحثنا هذا، فقال: " باب حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف حال المعنى، مثل ﴿ وَزادَه بَسطَةً في العِلمِ وَالجِسم﴾ (البقرة 247) ﴿ وَزادَكُم في الخَلقِ بَصطَة﴾ (الأعراف69) ﴿ اللَهُ يَبسُطُ الرِزقَ لِمَن يَشاءُ﴾ (الرعد 26) ﴿ واللَهُ يَقبِضُ وَيَبصُطُ﴾ (البقرة 245) فبالسين السعة الجزئية. يدلك عليه التقييد. وبالصاد السعة الكلية. ويدل عليه معنى الإطلاق وعلو الصاد مع الجهارة والأطباق." (ابن البناء المراكشي، 1990، صفحة 137)

ومنهم من ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فقال: "حرف الصاد: هذا الحرف إنما هو تفخيم لحرف السين وصفيريٌّ مثله، إلا أنه أملأ منه صوتاً، وأشد تماسكاً، فهو من أصوات الحروف كالرصاص من المعادن رجاحةَ وزنٍ، وكالرخام الصقيل من الصخور الصمَّاء صلابة ونعومة ملمسٍ، وكالإعصار من الرياح، صرير صوت يقدح ناراً، ولقد منحته هذه الخصائص الصوتية شخصية فذَّة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وذكاء معنى، ومن صلابته شدة وقوة وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقية ما كان أصلحها لمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة" (عباس، 1998، صفحة 149)

3.1.1. أمثلة إبدال السين صادا في القرآن الكريم:

3.1.2. قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) ﴾ (الفاتحة 6-7)

"والسِّراط والصِّراط، بِالسِّين وَالصَّاد: الطَّرِيق القاصد. قَالَ الشَّاعِر: (ابن دريد, أبو بكر، 1987، صفحة 714)

أميرُ الْمُؤمنِينَ على سِراطٍ إذا اعوجّ الموارِدُ مستقيمِ

وقال ابن سيده الأندلسي: "والسِّراطُ السَّبِيلُ الواضِحُ، والصَّادُ أَعْلَى لمكانِ المضارعَة، وإن كانت السين هي الأصل، وحكاه سيبويه: الصِّراط على المُضارعة أيضا " (ابن سيده، 2000، صفحة (8) 433) أي: إنَّ أصل هذه الكلمة بالسين: السراط، ولما كانت (السين والصاد والزاي) من مخرج واحد، وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، (النيرباني، 2006، صفحة 57) وهي ما يُسمّى بالحروف الأسلية، (النيرباني، 2006، صفحة 67) حسن الإبدال

فيما بينها؛ إذ إن الفرق بين السين والصاد إنما هو فرق صفات، فالصاد من حروف الاستعلاء والإطباق والتفخيم، والسين من حروف الاستفالة والترقيق، و"عَنِ الْجَعْبَرِيِّ إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي كُلِّ سِينٍ بَعْدَهَا غَيْنٌ أَوْ خَاءٌ أَوْ قَافٌ أَوْ طَاءٌ وَإِنَّمَا قَلَبُوهَا هُنَا صَادًا لِتُطَابِقَ الطَّاءَ فِي الْإِطْبَاقِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالتَّفَخُّمِ" (ابن عاشور، 1984، صفحة (1) 190)

ويلوح لنا أن الإبدال في هذه الكلمة في هذه الآية وغيرها في القرآن الكريم[1] ليس من قبيل المجانسة الصوتية فحسب، بل يتعدّى ذلك إلى لون من ألوان الإعجاز التصويري، فالله عزّ وجلّ لا يدعو إلى طريقٍ دنيوي حقيقي محسوس؛ بل يدعو إلى طريقٍ يقرّب منه ويهدي إليه؛ إذ "الصِّرَاطُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى الْحَقِّ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ مُدْرِكُهُ إِلَى الْفَوْزِ بِرِضَاءِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْفَوْزَ هُوَ الَّذِي جَاءَ الْإِسْلَامُ بِطَلَبِهِ" " (ابن عاشور، 1984، صفحة (1) 190)

فاستحق هذا الثقل المعنوي تثقيلا في اللفظ، فأُبدِل الحرف المرقق المستفل بآخر مفخّمٍ مستعلٍ؛ تمثيلا بالصورة الصوتية للمعنى؛ وقد تحدّث الزركشي عن دلالة السين والصاد في غير موضع الحديث عن الصراط: "فَبِالسِّينِ السَّعَةُ الْجُزْئِيَّةُ كَذَلِكَ عِلَّةُ التَّقْيِيدِ وَبِالصَّادِ السَّعَةُ الْكُلِّيَّةُ بِدَلِيلِ عُلُوِّ مَعْنَى الْإِطْلَاقِ وَعُلُوِّ الصَّادِ مَعَ الْجَهَارَةِ وَالْإِطْبَاقِ " (الزركشي، 1957، صفحة (1) 429)

3.1.3. وقول الله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية 22)

والسَّيْطَرَةُ مصدر المُسَيْطِر، وهو كالرَّقيب الحافظ المُتَعَهِّد للشيء، وتقول: قد تَسَيْطَرَ علينا فلانٌ، (الفراهيدي، ب.ت.، صفحة (7) 210) وفي الصحاح المسيطر والمصيطر: المسلِّط على الشيء، ليشرف عليه، ويتعهد أحواله، ويكتب عمله، وأصله من السطر، لأن من معنى السطر ألا يتجاوز، فالكتاب مسطر، والذي يفعله مسطر ومسيطر؛ يقال: سيطرت علينا، وقال تعالى ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ وسطره أي صرعه. (الجوهري، 1987، صفحة (2) 684)

وقوله تَعَالَى: فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ أي فذكر يا محمد الناس بما أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (الرعد 40) ولهذا قال: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ

[1] وردت كلمة الصراط في القرآن الكريم في 45 موضعًا، ونرى أنّ التحليل الذي قدمناه أعلاه ينطبق على كلٍّ منها، والله أعلم.

بِمُصَيْطِرٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ أي: لست تخلق الإيمان في قلوبهم، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَسْتَ بِالَّذِي تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ. " (ابن كثير، 1419، صفحة (8) 380)

وقال ابن عاشور: " أَيْ أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ وَكِيلًا عَلَى تَحْصِيلِ تَذَكُّرِهِمْ فَلَا تَتَحَرَّجْ مِنْ عَدَمِ تَذَكُّرِهِمْ فَأَنْتَ غَيْرُ مُقَصِّرٍ فِي تَذْكِيرِهِمْ وَهَذَا تَطْمِينٌ لِنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ... وَالْمُصَيْطِرُ: الْمُجْبِرُ الْمُكْرِهُ." (ابن عاشور، 1984، صفحة (30) 307)

على أنني أرى أن الإبدال هنا بين السين والصاد قد خرج إلى الإيحاء التصويري فضلا عن التخفيف اللفظي، لما في تفخيم الصاد وإطباقها من دلالة معنوية على الوكالة والجبروت، والله أعلم.

3.1.4. ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ (الطور 37)

قال ابن عاشور: هذا "إِنْكَارٌ لِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي عَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَوْ دُونَ تَصَرُّفِ الْمَالِكِ مِثْلُ تَصَرُّفِ الْوَكِيلِ وَالْخَازِنِ وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ بِالْمُصَيْطِرُونَ. وَالْمُصَيْطِرُ: يُقَالُ بِالصَّادِ وَالسِّينِ فِي أَوَّلِهِ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ صَيْطَرَ بِالصَّادِ وَالسِّينِ، إِذَا حَفِظَ وَتَسَلَّطَ، وَهُوَ فِعْلٌ مُشْتَقٌّ مِنْ سَيْطَرَ إِذَا قَطَعَ، وَمِنْهُ الساطور، وَهُوَ حَدِيدَة يقطع بهَا اللَّحْمُ وَالْعَظْمُ. وَصِيغَ مِنْهُ وزن فيعل لِلْإِلْحَاقِ بِالرُّبَاعِيِّ كَقَوْلِهِمْ: بَيْقَرَ، بِمَعْنَى هَلَكَ أَوْ تَحَضَّرَ، وَبَيْطَرَ بِمَعْنَى شَقَّ، وَهَيْمَنَ، وَلَا خَامِسَ لَهَا فِي الْأَفْعَالِ. وَإِبْدَالُ السِّينِ صَادًا لُغَةٌ فِيهِ مِثْلُ الصِّرَاطِ وَالسِّرَاطَ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ الْمُصَيْطِرُونَ بِصَادٍ. وَقَرَأَهُ قُنْبُلٌ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ وَهِشَامٌ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ، وَحَفْص فِي رِوَايَة بِالسِّينِ فِي أَوَّلِهِ." (ابن عاشور، 1984، صفحة (27) 71)

والذي أراه أن الإبدال قد أفاد في المعنى ما في الصاد من تفخيم وإطباق، فكأن المعنى ههنا لا يقبل خفوت السين وهمسها، وقد رأى أحدهم أن "السين للتفلت والصاد للامتناع" (العرابلي، 2010، صفحة 219)

3.2. : الإبدال بين السين والزاي

حرف السين حرف بصري (عباس، 1998، صفحة 94) هو أحد الحروف الصفيرية، وصوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسيّ بين النعومة والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير، وليس في صوته مايوحي بأي إحساس ذوقي أو شمي أو مشاعر إنسانية، (عباس، 1998، صفحة 111) أما الزاي فهو

حرف سمعي (عباس، 1998، صفحة 138) وعلى الرغم من بساطة صوت هذا الحرف الأسَلي ، فهو متنوع الخصائص .فحدَّة صوته توحي بالشدة والفعالية وهذه الحدَّة التي تحاكي صوت حزِّ الحديد على الحديد ، تؤهِّله للتعبير عن الأصوات المماثلة في الطبيعة ولما كان صوت هذا الحرف يستمد حدَّته من ذبذباته الصوتية العالية ، فهو إذا لفظ بشيء من الشدَّة أوحى بالاضطراب والتحرّك والاهتزاز. (عباس، 1998، صفحة 139)

3.3. الرجز والرجس

3.3.1. الرِّجزُ في اللغة:

قال ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ... فَأَمَّا الرِّجْزُ الَّذِي هُوَ الْعَذَابُ، وَالَّذِي هُوَ الصَّنَمُ." (ابن فارس، 1979، صفحة (2) 490) وقال الخليل: "العَذابُ، وكلُّ عذابٍ أُنزل على قومٍ فهو رِجزٌ. ووسواس الشَّيطان رِجزٌ، والرِّجزُ: عبادةُ الأوثانِ" (الفراهيدي، ب.ت.، صفحة (6) 66)

3.3.2. الرجسُ في اللغة:

قال ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَاطٍ... الرِّجْسُ: الْقَذَرُ; لِأَنَّهُ لَطْخٌ وَخَلْطٌ" (ابن فارس، 1979، صفحة (2) 490) وقال الخليل: "رجس: كلُّ شيءٍ يستقذر فهو رجس كالخنزير، وقد رَجُسَ الرجل رَجاسةً من القَذَرِ" (الفراهيدي، ب.ت.، صفحة (6) 52)

3.3.3. آيات الرجس

3.3.3.1. ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام 125)

3.3.3.2. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس 100

3.3.3.3. ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة 90

3.3.3.4. ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ الأنعام 145

3.3.3.5. ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ الأعراف 71

3.3.3.6. ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ التوبة 95

3.3.3.7. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة 125

3.3.3.8. ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ الحج 30

3.3.3.9. ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب 33

قال ابن عاشور: "وَالرِّجْسُ: الْخُبْثُ وَالْفَسَادُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْخُبْثِ الْمَعْنَوِيِّ وَالنَّفْسِيِّ. وَالْمُرَادُ هُنَا خُبْثُ النَّفْسِ وَهُوَ رِجْسُ الشِّرْكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ التوبة 125 أَيْ مَرَضًا فِي قُلُوبِهِمْ زَائِدًا عَلَى مَرَضِ قُلُوبِهِمُ السَّابِقِ، أَيْ أَرْسَخَتِ الْمَرَضَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَتَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ المائدة 90 فَالرِّجْسُ يَعُمُّ سَائِرَ الْخَبَائِثِ النَّفْسِيَّةِ، الشَّامِلَةِ لِضِيقِ الصَّدْرِ وَحَرَجِهِ، وَبِهَذَا الْعُمُومِ كَانَ تَذْيِيلًا، فَلَيْسَ خَاصًّا بِضِيقِ الصَّدْرِ حَتَّى يَكُونَ مِنْ وَضْعِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ. وقَوْلُهُ: كَذلِكَ نَائِبٌ عَنِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ الْمُرَادُ بِهِ التَّشْبِيهُ وَالْمَعْنَى: يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ جَعْلًا كَهَذَا الضِّيقِ وَالْحَرَجِ الشَّدِيدِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وعَلَى فِي قَوْلِهِ: عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ تُفِيدُ تَمَكُّنَ الرِّجْسِ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَالْعِلَاوَةُ مَجَازٌ فِي التَّمَكُّنِ، مِثْلُ: ﴿ أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ البقرة 5 وَالْمُرَادُ تَمَكُّنُهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَظُهُورُ آثَارِهِ عَلَيْهِمْ. وَجِيءَ بِالْمُضَارِعِ فِي يَجْعَلْ لِإِفَادَةِ التَّجَدُّدِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، أَيْ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَنْ يَنْصَرِفُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ. (ابن عاشور، 1984، صفحة (8) 61)

وحرف السين هو أحد الحروف الصفيرية ، صوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسيّ بين النعومة والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب

للصفير. وليس في صوته ما يوحي بأي إحساس ذوقي أو شمي أو مشاعر إنسانية . (عباس، 1998، صفحة 111)

3.3.4. آيات الرجز:

3.3.4.1. ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأعراف 134

3.3.4.2. ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ ﴾ الأعراف 135

3.3.4.3. ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(5)﴾ المدثر 1-5

3.3.4.4. ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة 59

3.3.4.5. ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف 162

3.3.4.6. ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ الأنفال 11

3.3.4.7. ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ العنكبوت 34

3.3.4.8. ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ سبأ 5

قال ابن عاشور: "الرِّجْزُ الْعَذَابُ فَالتَّعْرِيفُ بِاللَّامِ هُنَا لِلْعَهْدِ أَيِ الْعَذَابُ الْمَذْكُورُ وَهُوَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ- إِلَى قَوْلِهِ- آياتٍ مُفَصَّلاتٍ) [2] [الْأَعْرَاف: 133] وَالرِّجْزُ مِنْ أَسْمَاءِ الطَّاعُونِ، وَقَدْ تقدم عِنْد قَوْلهم تَعَالَى: فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ﴾

[2] الأعراف 133 – 135 وتمام الآيات: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135)﴾

البقرة 59 فَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالرِّجْزِ الطَّاعُونُ أَيْ أَصَابَهُمْ طَاعُونٌ أَلْجَأَهُمْ إِلَى التَّضَرُّعِ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَطُوِيَ ذِكْرُهُ لِلْإِيجَازِ، فَالتَّقْدِيرُ: وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ إِلَخ." (ابن عاشور، 1984، صفحة (9) 71)

وبعد كل ما تقدّم فإننا لا شكّ أننا نلاحظ التقارب الكبير بين لفظي الرجز والرجس، وبين معاني كل منهما، وإذا انطلقنا من الأصول التي أصّلها ابن فارس في الجذرين السابقين: (الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَاطٍ) و(الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ)، ومن معاني الحروف وخصائصها التي قدّمها حسن عبّاس فلنا أن نقول: إن الهمس الذي هو في السين قد طبع المعنى المحوري في جذر (رجس) بالاختلاط؛ وذلك لأن الاختلاط أخف من الاضطراب الذي هو معنى محوري في جذر (رجز) لما في الزاي من جهر، فكانت السين بما فيها من همس تدل على الفعل المستهجن من قذارة ونجاسة وعبادة أوثان، وكانت الزاي بما فيها من جهر تدل على اضطراب أحوال أهل النار بما يلقونه من العذاب في نار جهنم بعد الحساب.

3.4. إبدال التاء صادا:

كما في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد 18

اجتمع اللغويّون على أنّ {الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ}: " أَصْلُهُ: المُتَصَدِّقِينَ، فَقُلِبَت التاءُ صادًا، وأُدْغِمَتْ في مِثْلِها" (الفيروزآبادي، 2005، صفحة 500) وقد «قرأ ابن كثير وأبو بكر: إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقاتِ، بتخفيف الصاد فيهما، أي المؤمنين والمؤمنات الذين صدقوا الله ورسوله، وقرأ الباقون: {إن المصّدّقين والمصّدّقات} بتشديد الصاد فيهما، أرادوا: المتصدقين والمتصدقات، فأدغموا التاء في الصاد، وحجتهم أن في حرف أبي: {إن المتصدقين والمتصدقات} بتاء ظاهرة.» (النيرباني، 2006، صفحة 26) وأنّه قد جرى فيها إبدال التاء بالصاد، ومن ثمّ تم إدغام الصاد الأولى بالصاد الثانية إدغاما كبيرا واجبا، فهل "أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الصَّادِ بَعْدَ قَلْبِهَا صَادًا لِقُرْبِ مَخْرَجَيْهِمَا تَطَلُّبًا لِخِفَّةِ الْإِدْغَامِ" (ابن عاشور، 1984، صفحة (27) 396)؟ أم يمكن أن ينطوي على ما هو أكثر من ذلك؟ إننا نرى في هذه الآية جانبا

من جوانب الإعجاز التصويري في القرآن الكريم، إذ جرى الإبدال بين التاء والصاد؛ فما التاء وما الصاد وما الفرق بينهما صوتيا؟

وذهب ابن عاشور إلى أنّ الآية هنا متصلة الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد 11 أَلَا تَرَى أَنَّ أَلْفَاظَ الْآيَتَيْنِ مُتَمَاثِلَةٌ إِذْ أُرِيدَ أَنْ يُعَادَ مَا سَبَقَ مِنَ التَّحْرِيضِ عَلَى الْإِنْفَاقِ فَيُؤْتَى بِهِ فِي صُورَةِ الصِّلَةِ الَّتِي عُرِفَ بِهَا الْمُمْتَثِلُونَ لِذَلِكَ التَّحْرِيضِ. وَعَطَفَ وَالْمُصَّدِّقاتِ...

وَعَطَفَ وَأَقْرَضُوا وَهُوَ جُمْلَةٌ عَلَى الْمُصَّدِّقِينَ وَهُوَ مُفْرَدٌ لِأَنَّ الْمُفْرَدَ فِي حُكْمِ الْفِعْلِ حَيْثُ كَانَتِ اللَّامُ فِي مَعْنَى الْمَوْصُولِ فَقُوَّةُ الْكَلَامِ: إِنَّ الَّذِينَ اصَّدَّقُوا وَاللَّائِي تَصَدَّقْنَ وَأَقْرَضُوا، عَلَى التَّغْلِيبِ وَلَا فَصْلَ بِأَجْنَبِيٍّ عَلَى أَنَّ الْفَصْلَ لَا يُمْنَعُ إِذَا لَمْ يُفْسِدِ الْمَعْنَى، وَوَجْهُ الْعُدُولِ عَنْ تَمَاثُلِ الصِّلَتَيْنِ فَلَمْ يَقُلْ: إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُقْرِضِينَ، هُوَ تَصْوِيرُ مَعْنَى كَوْنِ التَّصَدُّقِ إِقْرَاضًا لِلَّهِ. (ابن عاشور، 1984، صفحة (27) 396)

وذهب ابن يعيش إلى أنّ الاسم المفرد بمعنى الفعل "ومثلُه قوله تعالى: {إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}، على معنى: إن الذين تَصدّقوا وأقرضوا" (ابن يعيش, أبو البقاء موفق الدين، 2001، صفحة (2) 400)

وبناء على ما تقدّم نرى أن التاء التي هي من الحروف النطعية، والتي يشاركها في هذا المخرج الطاء والدال وتختلف عنهما في الصفات، أما الصاد فهي من الحروف الأسلية، أي تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، ويشاركها في ذا المخرج السين والزاي وتختلفان عنها في الصفات، والحروف النطعية والحروف الأسلية متجاورتان في المخرج، لكن حرف الصاد يزيد على التاء ما فيه من التفخيم والاستعلاء والإطباق، فإذا ما انطلقنا من معالم التصوير الصوتي نجد أن حرف الصّاد قد أكسب المفردتين تفخيما يوحي بعلوّ منزلة المتصدّقين والمتصدقات ورفعة شأنهم عند الله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم بمراده.

3.5. الإبدال بين الباء والميم

الباء والميم حرفان شفويان مجهوران، واتحاد المخرج يجعل من السهل تحويل الباء إلى ميم، وقد وقع في القرآن الكريم إبدال أو ما يشبه إبدال الميم باء ، وجرى العكس أيضا، أي: إبدال الباء ميما، فمن الأول قوله تعالى: (بكّة) في الدلالة على (مكة)، ومن الثاني قوله تعالى: (اركم معنا) في سورة هود، فهل لهذا الإبدال إيحاء تصويري؟

3.5.1. الشاهد الأول: في إبدال الميم باءً قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران 96

قال الشعراوي: "عندما ندقق النظر في معنى كلمة (بكة) التي وردت في هذا القول الكريم: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا} فإننا نعرف أن هناك اسما لمكان البيت الحرام هو (بكة) وهناك اسم آخر هو مكة، وبعض العلماء يقول: إن (الميم) و(الباء) يتعاونان، ونلحظ ذلك في الإنسان (الأخنف) أو المصاب بزكام، إنه ينطق (الميم) كأنها (باء). والميم و(الباء) حرفان قريبان في النطق، والألفاظ منهما تأتي قريبة المعنى من بعضها". (الشعراوي , محمد متولي، 1997، صفحة 1632)

وبَكَّةُ "(بَكَّ) الْبَاءُ وَالْكَافُ فِي الْمُضَاعَفِ أَصْلٌ يَجْمَعُ التَّزَاحُمَ وَالْمُغَالَبَةَ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْبَكُّ دَقُّ الْعُنُقِ. وَيُقَالُ: سُمِّيَتْ بَكَّةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَبُكُّ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ إِذَا أَلْحَدُوا فِيهَا بِظُلْمٍ لَمْ يُنْظَرُوا. وَيُقَالُ: بَلْ سُمِّيَتْ بَكَّةَ لِأَنَّ النَّاسَ بَعْضُهُمْ يَبُكُّ بَعْضًا فِي الطَّوَافِ، أَيْ: يَدْفَعُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَيْ يَتَبَاكُّونَ فِيهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ. وَقِيلَ أَيْضًا: بَكَّةُ فَعْلَةٌ مِنْ بَكَكْتُ الرَّجُلَ: إِذَا رَدَدْتُهُ وَوَضَعْتَ مِنْه" (ابن فارس، 1979، صفحة (1) 186)

(مَكَّ) الْمِيمُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِقَاءِ الْعَظْمِ، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ. يَقُولُونَ: تَمَكَّكَتِ الْعَظْمُ: أَخْرَجَتْ مُخَّهُ. وَامْتَكَّ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمِّهِ: شَرِبَهُ. وَالتَّمَكُّكُ: الِاسْتِقْصَاءُ. وَفِي الْحَدِيثِ: " «لَا تُمَكِّكُوا عَلَى غُرَمَائِكُمْ» ". وَيُقَالُ: سُمِّيَتْ مَكَّةَ لِقِلَّةِ الْمَاءِ بِهَا، كَأَنَّ مَاءَهَا قَدِ امْتُكَّ. وَقِيلَ سُمِّيَتْ؛ لِأَنَّهَا تَمُكُّ مَنْ ظَلَمَ فِيهَا، أَيْ تُهْلِكُهُ وَتَقْصِمُهُ كَمَا يُمَكُّ الْعَظْم. (ابن فارس، 1979، صفحة (5) 274)

و"قيل: إن بَكَّة مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَسَائِرُ مَا حَوْلَهُ مَكَّة، قَالَ لَلَّذِي بِبَكَّةَ، فَأَمَّا اشْتِقَاقُهُ فِي اللُّغَةِ فَيَصْلُحُ أَن يَكُونَ الِاسْمُ اشْتُقَّ مِنْ بَكَّ الناسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي الطَّوَافِ أَي دَفَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقِيلَ: بَكة اسْمُ بَطْنِ مَكَّة سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِازْدِحَامِ النَّاسِ. وَفِي حَدِيثِ مُجَاهِدٍ: مِنْ أَسماء مَكَّةَ بَكَّةُ، قِيلَ: بَكَّة موضع البيت ومكةُ سَائِرُ الْبَلَدِ، وَقِيلَ: هُمَا اسْمَا الْبَلْدَةِ، وَالْبَاءُ وَالْمِيمُ يَتَعَاقَبَانِ" (ابن منظور, محمد بن مكرم بن علي، 1414، صفحة (10) 402)

" وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبها, وتقديم ما يضاهي أول الحدث, وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه,

سوقًا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، وذلك قولهم: بحث، فالباء لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث للتراب" (ابن جني، ب.ت.، صفحة (2)165)

والذي أريد الخلوص إليه أن مقام العظمة والجبروت في قوله تعالى (للذي ببكة) فاستخدم له الحق سبحانه وتعالى حرف الباء لما له من هالة تصويرية تفيد القوة والقدرة، ولا سيما أن الحق سبحانه يصف البيت بأنّه أول ما وُضِع للناس، ولعلي أميل إلى التفسير اللغوي لاسم (بكة) من قبيل أنها تبكّ أعناق الرجال والجبابرة إذا تداعوا فيها بظلم، لما في الباء من إيحاء بهذه الصورة، ولما كان السياق سياق رحمة بالمؤمنين المغلوبين استخدم الحق سبحانه وتعالى حرف الميم (أي: اسم مكة) فقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ الفتح 24

3.5.2. **الشاهد الثاني:** إبدال الباء ميما في قوله تعالى :﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ هود 42

(رَكَبَ) الرَّاءُ وَالْكَافُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ عُلُوُّ شَيْءٍ شَيْئًا. يُقَالُ رَكِبَ رُكُوبًا يَرْكَبُ (ابن فارس بن زكرياء ، 1979م) (ابن فارس، 1979، صفحة (2)432) و(رَكَمَ) الرَّاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَجَمُّعِ الشَّيْءِ. تَقُولُ رَكَمْتُ الشَّيْءَ: أَلْقَيْتَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. (ابن فارس، 1979، صفحة (2)430) فإذا كان حرف الميم أكثر تمثيلاً لمعاني المص والرضاع والضم والانجماع، وأوحى بمعاني الرقة والإحاطة في الأمومة، فإن صوت الباء الانفجاري، إنما هو أكثر تمثيلاً لمعاني البقر والبعج وأكثر إيحاء بمعاني الشدة والقوة في الرجل الأب. (عباس، 1998، صفحة 78) وإذا ما انطلقنا من الدلالة الصوتية لحرفي الباء والميم فإننا سنصل إلى صورة معبّرة عن مشهد فريد، تحاكي فيه الدلالة الصوتية دلالته الانفعالية، فكأن نوحًا عليه السلام يتلطّف ابنه بحرف الميم – في قوله: اركم معنا - الذي يدل على الضمّ والانجماع بشيءٍ من الرقّة والإحاطة، ليركب معهم ويعلو علوّهم.

3.6. : بين الهمزة والهاء

ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مريم 83 أي: تزعجهم وتُقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب

اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك

قال ابن فارس: "(أَزَّ) وَالْهَمْزَةُ وَالزَّاءُ يَدُلُّ عَلَى التَّحَرُّكِ وَالتَّحْرِيكِ وَالْإِزْعَاجِ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْأَزُّ: حَمْلُ الْإِنْسَانِ الْإِنْسَانَ عَلَى الْأَمْرِ بِرِفْقٍ وَاحْتِيَالٍ. الشَّيْطَانُ يَؤُزُّ الْإِنْسَانَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ أَزًّا... قَالَ الْخَلِيلُ: الْأَزُّ: غَلَيَانُ" (ابن فارس، 1979، صفحة (1)13)

"(هَزَّ) الْهَاءُ وَالزَّاءُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ فِي شَيْءٍ وَحَرَكَةٍ. وَهَزَزْتُ الْقَنَاةَ فَاهْتَزَّتْ. وَاهْتَزَّ النَّبَاتُ، وَهَزَّتْهُ الرِّيحُ. وَهَزَّ الْحَادِي الْإِبِلَ بِحُدَائِهِ وَاهْتَزَّتْ هِيَ فِي سَيْرِهَا. وَهَزِيزُ الرِّيحِ: حَرَكَتُهَا وَصَوْتُهَا" (ابن فارس، 1979، صفحة (6)9)

فإذا غلب على معاني المصادر التي تبدأ بهذا الحرف طابع الشدة والفعالية والاهتزاز، بما يتوافق مع صوته مشبعاً مضغوطاً عليه، عالي النبرة، كان مخرجه في أول الحلق داخلاً، أما إذا غلب على معانيها طابع الضعف والرقة والوهن، بما يتوافق مع صوته مخفوتاً به مرققاً، كان مخرجه بعد حرفي العين والحاء، كما قال الفراهيدي... إن صوت حرف الهاء باهتزازاته العميقة في باطن الحلق يوحي أول ما يوحي بالاضطرابات النفسية. وإذن لابد أن يكون الإنسان العربي قد اهتدى إلى صوت هذا الحرف للتعبير عفوياً عن اضطراب نفسي معين قد أصابه، أو أن يكون قد اقتبسه عن صوت إنسان كان اعتراه مثل هذا الاضطراب النفسي... يبدو أن العربي قد اقتبس صوت الهاء من مادة هذا الصوت الهيجاني المضطرب المهزوز للتعبير عن تلك الاضطرابات والانفعالات النفسية التي عاناها هو، أو عاناها غيره على مشهد منه ومسمع. ولكن عندما تتأصّل تلك الحالات في نفْس صاحبها لأسباب عاطفية عميقة الجذور من فواجع موت أو حب، أو لظروف قاهرة من يأس دائم وأسى مقيم، وما إليها من دواعي البؤس المتحكِّمة في النفْس، لابد لطبيعة الانقباض بالذات أن تتحكم في جملته العصبية، ليصبح صوت مثل هذا الإنسان هائي الطبيعة والمخرج الصوتي معاً" (عباس، 1998، صفحة 192)

4. خاتمة:

من خلال ما تقدّم في هذا البحث نجد أن الدلالة الصوتية كانت ذات دلالة تعبيرية تصويرية، وأن الإبدال الصرفي غير القياسي – وهو مظهر من مظاهر الدلالة الصوتية - كان

ذا قيمة تعبيرية تصويرية في تجسيد المعنى، لكّن قلة قليلة جدا من العلماء الذين وقفوا عند حدود هذه الظاهرة من خلال ثنائية اللفظ والمعنى، وقد وقف هذا البحث عند بعض من تلك المظاهر وقدّم تفسيره المنطقي لها، ووضّح الفروق بين الصورتين الصوتيين لكلٍّ من الصيغة الأصيلة والصيغة البديلة بالاعتماد على معطيات الدرس الصوتي، ولم يتمكن هذا البحث من الإحاطة بجميع الظواهر الصوتية التي تتصل به، فاكتفى بظاهرة الإبدال؛ ولذلك فهو يوصي بدراسة الظواهر الصوتية الأخرى التي تستوجب التوقف عندها، كظاهرة التخفيف الصوتي أو الحذف الصوتي، وظاهرة التثقيل الصوتي، وظواهر أخرى يمكن أن ترتبط بنظرية الإعجاز الصوتي في تصوير المعنى.

وبعد:

فهذا البحث يبقى في إطار الاجتهاد قد يوافق الآخرون على ما فيه وقد يخالفوه، لكن الذي قدّمه من أمثلة وظواهر قرآنية يستوجب الوقوف عندها وإعادة النظر فيها، فإن أصبتُ فتوفيق من الله، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت.

5. قائمة المراجع:

ابن البناء المراكشي, أبو العباس أحمد بن محمد. (1990). *عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل*. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن جني, أبو الفتح عثمان. (ب.ت.). *الخصائص*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن دريد, أبو بكر. (1987). *جمهرة اللغة*. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن سيده , أبو الحسن علي بن إسماعيل. (2000). *المحكم والمحيط الأعظم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور, محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس, أبو الحسين أحمد. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. (عبد السلام هارون، المحرر) دار الفكر.

ابن كثير, إسماعيل بن عمر. (1419). *تفسير القرآن العظيم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور, محمد بن مكرم بن علي. (1414). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

ابن يعيش, أبو البقاء موفق الدين. (2001). *شرح المفصل للزمخشري*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الثعالبي, أبو منصور. (2002). *فقه اللغة وسر العربية*. إحياء التراث العربي.

الجرجاني , علي بن محمد. (1983). *التعريفات*. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

الجوهري , إسماعيل بن حماد. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. (تح: أحمد عبد الغفور عطار، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.

الزركشي, أبو عبد الله بدر الدين. (1957). *البرهان في علوم القرآن*. مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

الشعراوي , محمد متولي. (1997). *تفسير الشعراوي*. مطابع أخبار اليوم.

العرابلي , عبد المجيد. (2010). *سر زيادة وحذف الياء وإبدالها في الرسم القرآني*. يافا: دار يافا العلمية للنشر.

الفراهيدي, الخليل بن أحمد. (ب.ت.). *كتاب العين*. دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي , مجد الدين. (2005). *القاموس المحيط*. (محمد نعيم العرقسُوسي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

النيرباني , عبد البديع. (2006). *الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات*. دمشق: دار الغوثاني.

الهروي, أبو منصور محمد بن أحمد. (1991). *معاني القراءات للأزهري*. السعودية: جامعة الملك سعود.

بو زيد, ساسي هادف. (2009). الدلالة الصوتية عند ابن جني. *مجلة حوليات التراث*، الصفحات 135-156.

عباس , حسن. (1998). *خصائص الحروف العربية ومعانيها*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

عبد التواب, رمضان. (1995). *بحوث ومقالات في اللغة*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد التواب, رمضان. (1997). *المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي*. بالقاهرة: مكتبة الخانجي.

مندور, محمد. (2004). *في الميزان الجديد*. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.